بمنع انتشارها وبتخفيف فعلها وهي قادرة على ذلك اذا اتخذت الوسائط اللازمة من حيث نظافة الشوارع وتنقية ماء الشرب وتعميم التلقيح لمنع الجدري وابعاد المرضى عن الاصحاء. والموت بهذه الامراض غير قليل في مصر فقد يكون عشرة في المئة من وفيات الاطفال وقد كان في بلاد الانكليز بين سنة ١٨٦٠ و ١٨٧٠ نحو ١٩ في المئة ولكن العشرة في المئة في مصر بمثابة ٤٠ في المئة في مدن الانكليز كما تقدّم

وجملة القول ان نحو نصف الناس يموت اطفالاً وانه يمكن تقليل موت الاطفال حتى لا تزيد وفياتهم عن نحو عشرين في المئة من كل الوفيات على مدار السنة

مملكة الحثيين القدماء

لا تفتح كتاباً من كتب التاريخ القديم الاّ وترى فيه ذكر المصريين والبابليين والاشوريين والنينويين. ولو قال احد منذ عشر سنين انه لما كانت هذه الممالك في اوج مجدها كان يجانبها مملكة خامسة تضاهيها عظمةً ومنعةً لظُن انه جاهل او مازحٌ اذ يبعد عن الظن ان توجد مملكة قويّة في مركز تمدن البشر ولا يأتي ذكرها في التواريخ القديمة ولا يبقى شيء من آثار عظمتها. ولكن قد ثبت الآن انه كان في شمالي سورية مملكة عظيمة اسمها مملكة الحثيين غالبت مملكة مصر ايام كان ملكها رعمسيس الثاني اشهر ملوكها فغلبتها وعقدت معها معاهدة هجوم ودفاع كما سيجيء. وذكرُ هذه المملكة وارد في الآثار المصرية والاشورية وآثارها منتشرة في بلادها ولكن الذكر قليل والآثار طامسة حتى لم يلتفت اليها الباحثون في ما سلف. وممّن اشتغلوا في درس آثار هذه المملكة وحاولوا قراءة كتابتها صديقنا الاثريّ الشهير الاستاذ سايس وقد ألّف في ذلك كتاباً نفيساً فرأينا ان نلخص ما يأتي:

جاء في الاصحاح السابع من سفر الملوك من التوراة ان الآراميين الذين كانوا يحاربون بني اسرائيل قالوا "هوذا ملك اسرائيل قد استأجر ضدنا ملوك الحثيين وملوك المصريين ليأتوا علينا". ومنذ نحو اربعين سنة اخذ احد العلماء هذه الآية وجعلها موضوعاً لانتقاد التوراة والتنديد بها فقال ان هذا القول دليل على جهل كاتبه للتاريخ لانه لم يوجد ملوك للحثيين يمكن مقابلتهم بملوك يهوذا ومع ذلك فالكاتب اغفل ذكر هؤلاء وذكر اولئك. ولكنّ الاكتشافات الحديثة قد ردّت كيد هذا المنتقد في نحره

وبيّنت انهُ هو الذي يجهل التاريخ لا كاتب التوراة فان ملوك الحثيين كانوا في عصرهم مثل ملوك مصر عزّة ومنعةً وتنازعوا معهم على غربي اسيا وكانت الحرب بينهم سجالاً ولكنهم لم يذكروا كثيرًا في تاريخ امّة اليهود لان ظالم نقلّص قبلما امتدّ ظل مملكة اليهود

ويظهر من التوراة ان حدّ مملكة الحثيين الجنوبي كان عند مدينة حماة وقادش على نهر العاصي وانهُ كانت قبيلة حثيّة اخرى في جنوبي فلسطين ومنها اشترى ابرهيم الخليل مغارة المكفيلة لدفن زوجتهِ سارة اذ يقال انهُ اشتراها من عفرون الحثي . ومنها تزوج عيسو بعدا بنت ايلون الحثي . ومنها اوريا الحثي الذي تزوّج داود الملك بامرأتهِ فاولدها سليمان الحكيم

واسم الحثيين في القلم المصري القديم خنا اوحنا او حانا وفي القلم الاشوري حتّا. وقد ذُكروا في الآثار المصرية اول مرّة في عصر الدولة الثامنة عشرة من الدول المصرية حينما قُهر الملوك الرعاة وأُخرجوا من مصر وعزم الملوك الوطنيون ان يغزوا اطراف اسيّا انتقامًا من الاسيويين الذين ساموهم الذل في ايام الملوك الرعاة . ويقال ان تحمس الاول غزا شطوط الفرات نحو سنة ١٦٠٠ قبل المسيح وجعل حدود مملكتهِ في بلاد الجزيرة المعروفة ببلاد بين النهرين واسمها في اللغة المصرية القديمة نهرينا وفي اللغة الاشورية متيني وبعضها الاشوريون بقولهم انها تجاه ارض الحثيين . وذُكر الحثيون في ايام ابنهِ تحمس الثالث وكان المصريون يفرقون بين بلاد الحثيين الكبيرة والصغيرة وربما ارادوا بالصغيرة الاراضي التي جنوبي بلاد يهوذا فانهُ يقال ان تحمس اخذ الجزية من ملك بلاد الحثيين الكبيرة ذهبًا وعبيدًا واماء

وجاء في كتابة مصرية على قبر احد قواد تحمس هذا انهُ اسر الاسرى بجانب مدينة حلب وخاض نهر الفرات حينما هاجم مولاهُ حصن الحثيين المنيع في كركميش . وبلغت حدود السلطنة المصرية حينئذٍ بلاد الجزيرة شرقًا وبلاد الحثيين العظيمة شمالاً

ثم انتشبت نار الحرب بين المصريين والحثيين في ايام تحمس الرابع حفيد تحمس الثالث فاضطرّ ان يزوّج ولي عهدهِ امنوفس الثالث بابنة ملك الجزيرة ليشتد بهِ ازرهُ ضد ملك الحثيين . فأدخلت هذه الملكة عبادة الشمس الى بلاد مصر فقام الكهنة المصريون على ابنها الذي ربي على هذه العبادة وقاوموهُ اشد المقاومة حتى اضطرّ ان يترك ثيبة قصبة المملكة ويبني قصبةً أُخرى شمالي اسيوط . وهذا الانشقاق الديني اضعف قوّة مصر في بلاد الشام فارتدّ جنودها مخذولين حتى اضطرّ رعمسيس

الاول وهو اول ملوك الدولة التاسعة عشرة ان يعقد معاهدة هجوم ودفاع مع سبالبل ملك الحثيين واستولى الحثيون على قادش وغيرها من المدن السورية التي كانت في قبضة المصريين وادخلوا لغتهم بدل اللغة الاشورية التي كانت شائعة حينئذٍ في سورية ومصر شيوع الفرنسوية الآن . ثم قام الملك ستي الاول ابو رعمسيس الثاني ودوّخ مدن الشام حتى بلغ العاصي وهاجم مدينة قادش واخذها عنوةً . واحتدمت نيران الحرب بين المصريين والحثيين ودامت بينهم سجالاً نحو خمسين سنة فضعفت مصر جدًّا واضطرّت ان تخلّي عن كل املاكها الصغرى للحثيين . ولما مات ستي الاول استرجع الحثيون مدينة قادش وثارت الحرب بينهم وبين ابنه رعمسيس الثاني حتى خربت مدن الشام ولم تعد قادرة على مقاومة بني اسرائيل لما غزوها . فان بني اسرائيل خرجوا من مصر بعد موت رعمسيس الثاني فوجدوا ان الحثيين قد اعدّوا لهم البلاد بتخريبها وتفريق كلمة سكانها

وفي غزوة رعمسيس الثاني لبلاد الحثيين في الشام كان معه الشاعر بنتور فنظم قصيدة بليغة في وصف واقعة من الوقائع التي شهدها رعمسيس امام قادش وفعل فيها افعال الابطال . وكان ذلك في السنة الخامسة من حكم رعمسيس وهي سنة ١٢٨٣ قبل المسيح . ويقال في هذه القصيدة ان المصريين كانوا مخيمين على العاصي بقرب قادش فامسكوا جاسوسين من العرب واستنطقوهما فقالا ان ملك الحثيين نازل بعساكره قرب حلب وقد كذبا في ما قالا لان الحثيين وانصارهم وهم كالرمل الذي على شاطىء البحر عددًا كانوا كامنين على مقربة منهم فان ملك الحثيين سلّح كل الرجال الذين صادفهم في طريقه فكان عددهم لا يحصى فغطوا الجبال والاودية كالجراد عدًّا ولم يبق مع شعبه فضةً ولا ذهبًا بل اخذ كل اموالهم واعطاها لانصاره

وكان الحثيون كامنين الى الشمال الغربي من قادش فقاموا على حين غفلة وباغتوا المصريين بقرب بحيرة حمص وبلغ الخبر فرعون فقام مثل ابيه منث (اسم اله) ولبس اسلحته مثل بعل (اسم اله آخر) وركب مركبته واقتحم الموقعة ثم نظر واذا هو وحدهُ واشجع ابطال الحثيين محدق به وحوله الفان وخمس مئة مركبة من مركباتهم ولبس معه احد فصرخ الى الاله امون وقال له اين انت يا ابي امون هل ينسى الابُ ابنهُ هل فعلتُ شيئًا بدون علمك او هل تعدّيتُ فريضةً من فرائض فمك . لم اتعدَّ فريضةً من فرائضك ولم اكسر وصيةً من وصاياك . يا اله مصر الذي

بذلُ كل مَن يعصاهُ هوذا انا في وسط شعوب كثيرة وكلهم متحدون وانا وحدي وليس معي آخر ابطالي تركوني دعوتهم ولم يسمع احد منهم صوتي

فسمع امون نداءهُ على قول الشاعر بتور ومدَّ يدهُ واعلمهُ انهُ آتٍ لمعونتهِ فحاربهم رعمسيس وغلبهم وامتلأت الارض بقتلاهم وهرب ملك الحثيين من وجههِ ثم اجتمعت جنود الملك رعمسيس حولهُ فجعل يوبخهم على تهاملهم وابتعادهم عنهُ . وارسل ملك الحثيين يستعطفهُ فهادنا ولكن لم تطل الهدنة ولم يعقد الصلح بينهما الاَّ بعد ست عشرة سنة وتعاهدا حينئذٍ معاهدة هجوم ودفاع وختمت المعاهدة بتزوُّج رعمسيس بابنة ملك الحثيين ولم تزل هذه المعاهدة محفوظة بالقلم المصري وهذه ترجمتها بالايجاز

"في السنة الحادية والعشرين في شهر طيبي في الحادي والعشرين من الشهر في ملك الملك رعمسو ميامُن معطي الحياة الى الابد ... في ذلك اليوم كان الملك في مدينة رعمسيس يقدم ذبائح السلامة ... فجاء سفيرهُ وقدَّم سفيريهِ ملك حتا العظيم حناسيرا اللذين جاءا لبطلبا صداقة الملك رعمسيس ...

"هذه صورة العهود المكتوبة على لوح الفضة التي كتبها ملك حتا العظيم وقدمها الى فرعون عن يدي سفيريهِ ترتسبو ورعمس طالبًا بها صداقة الملك رعمسيس الذي هو كالثور بين الملوك يضع حدود مملكتهِ حيث شاء

"المعاهدة التي كتبها ملك حتا العظيم حناسيرا القدير ابن موراسيرا القدير ابن سباليل ملك حتا العظيم القدير على لوح الفضة لرعمسو ميامُن امير مصر القدير ابن منفتاح حتي امير مصر العظيم ...

"هذا عهد حناسيرا ملك حتا العظيم مع رعمسو ميامُن امير مصر العظيم انهُ من هذا اليوم عينهِ فصاعدًا تكون بينهما صداقة تامة هو يكون نصيري هو يكون صديقي وانا اكون نصيرهُ وانا اكون صديقهُ الى الابد

"اقول اني انا ملك حتا العظيم اتعاهد مع امير مصر العظيم بصداقة تامة ووفاق تام وابناء ابناء ملك حتا العظيم يكونون اصدقاء لابناء ابناء رعمسو ميامن امير مصر العظيم

"وبمعاهدتنا وبحسب اتفاقنا يتصادق شعب مصر مع شعب حتا وتدوم الصداقة الى الابد ولا تدخل العداوة بينهم .... والمعاهدة التي كانت في ايام سباليل ملك حتا العظيم وفي ايام موتال اخي ملك حتا العظيم اقوم بها انا ايضًا ويقوم بها

رعمسو ميامن امير مصر العظيم ....

"اذا جاء عدو على رعمسو ميامن امير مصر العظيم فيرسل سفيرًا الى ملك حنا العظيم ويقول له تعال وقوّني على عدوي فيجمع ملك حنا العظيم جنودهُ ويأتي ليضرب اعدامهُ . واذا لم يشأ ملك حنا العظيم ان يأتي بنفسهِ فيرسل جنودهُ ومركباتهِ ليضربوا اعدامهُ والاّ وقع تحت غضب رعمسو ميامن امير مصر العظيم . واذا نفى رعمسو ميامن بعض رعاياهُ لاجل جريمة فعلى ملك حنا ان يخرج لقتالهم . . .

واذا جاء عدو على ملك حنا العظيم فيرسل سفيرًا الى امير مصر العظيم فيأتي بقوة عظيمة ليقتل اعدامهُ . . . واذ لم يشأ ان يأتي بنفسهِ يرسل جنودهُ ومركباتهِ حينما يرسل الجواب لملك حنا

"اذا اذنب احد من رعايا ملك حنا العظيم فلا يقبلهُ رعمسو ميامُن في ارضهِ بل يقتلهُ . . . واذا هرب العبيد من ارض رعمسو ميامُن امير مصر العظيم الى ملك حنا العظيم فملك حنا العظيم لا يقبلهم بل يسلمهم لرعمسو ميامُن امير مصر العظيم . واذا هرب عبيد من ملك حنا العظيم ليأتوا الى رعمسو ميامن امير مصر العظيم فرعمسو ميامن امير مصر العظيم لا يقبلهم بل يرسلهم لملك حنا العظيم . واذا اتى اناس ماهرون من ارض حنا الى ارض مصر ليقيموا فيها فرعمسو ميامُن لا يدعهم يقيمون في ارضهِ بل يسلمهم لملك حنا العظيم

"ولننشر هذه المعاهدة في ارض مصر وارض حنا لكي لا يتعدّى الشعبان حدودها . . يشهد بذلك آلهة بلاد حنا وبلاد مصر . . . ثم تأتي قائمة اسماء الهة الحثيين وبعدها بنود يقال فيها ان من يحفظ هذه المعاهدة من شعوب الملكتين تنعم عليهِ الآلهة وتجزل لهُ الخيرات ومن يخالفها يقع تحت غضبها وان مَن يهرب الى مملكة مصر من الحثيين ويسلمهُ ملك مصر الى ملكهِ لا يستولي ملكهُ على اموالهِ ولا يقاصّهُ ولا يقاص احدًا من اقاربهِ وكذا من يهرب من بلاد مصر الى بلاد الحثيين ويسلمهُ ملك الحثيين لملك مصر لا ينتصُّ ملك مصر منهُ على ذلك

وهذه المعاهدة ناطقة بان مملكة الحثيين كانت عظيمة مثل مملكة مصر وفي في اوج مجدها . وزار ملك الحثيين بلاد مصر وازوج ابنتهُ برعمسيس الثاني واستولى الحثيون على سورية كلها ولم تعد مصر تنازعهم فيها . وكانت سلطنة الحثيين ممتدّة من الفرات شرقًا الى الارخبيل الرومي غربًا ومن كبدوكية شمالاً الى اطراف فلسطين جنوبًا

ومات رعمسيس الثاني بعد ان ملك ستًّا وستين سنة واستعبد بني اسرائيل وسخرهم في بناء مدينة فيثون ورعمسيس حتى ضاقت نفوسهم. ولما ملك ابنه منفتاح لمكانة طلب منهُ بنو اسرائيل ان يسمح لهم بالخروج من ارض مصر فابى وكان من امر الخروج ما كان كما هو معروف. والظاهر ان المعاهدة بين المصريين والحثيين كانت مرعيَّة حتى ذلك الوقت لانهُ حدثت مجاعة في بلاد الحثيين في اوائل ملك منفتاح فبعث اليهم بالقمح مجرًا وكانت مدينة غزة لم تزل في يد المصريين وفيها حامية منهم

وفي ايام رعمسيس الثالث من الدولة العشرين غزا مصر اقوامٌ من اليونان والفلسطينيين والحثيين فقابلهم رعمسيس بقرب بلبيس وتغلَّب عليهم وقتل واسر وغرَّق منهم جمًّا غفيرًا وكان بين الاسرى اقوامٌ من حلب وكركيش. ويستدلُّ من تفاصيل هذه الموقعة المحفوظة الى وقتنا هذا ان الحثيين نقضوا عهودهم مع مصر وان ملكهم كانت قد انقسمت الى اقسام شتى وضعفت سطوتها في بلاد الشام ومن ثمَّ قلَّ ذكرها في الآثار المصرية

ولكن سطوة الحثيين لم تزُل بانقسام ملكهم لانهُ جاء في الآثار الاشورية ما مفادهُ ان تغلث فلاسر الاول وهو اعظم ملوك اشور غزا بلادهم في آخر القرن الثاني عشر قبل المسيح ثلاث دفعات فثبتوا امامهُ ثبوت الابطال ولم يستطع ان يهاجم كركيش ولا ان يعبر الفرات بجانبها

ثم تقوَّت مملكة بني اسرائيل في ايام داود وسليمان ونشأت مملكة الاراميين والسوريين واستعان هدد عزر ملك ارام (الشام) بملك ارام النهرين ضد الحثيين. فلما تغلَّب داود الملك على هدد عزر وعلم طوعي ملك حماة بذلك بعث اليهِ بالهدايا النفيسة. ونحن نعلم من الآثار ان حماة كانت في يد الحثيين ولا دليل على انها خرجت من يدهم حينئذٍ والظاهر انها بقيت في يدهم الى ايام عزيا الملك وكان ملوكها انصارًا لملوك اسرائيل وملوك اسرائيل انصارًا لهم

وسنة ٨٨٥ قبل المسيح تولَّى اشور ناتسربال على تخت مملكة اشور وغزا الحثيين وتهدَّد كركيش فافتدت نفسها بهديَّة ثمينة وهي عشرون وزنة من الفضة وكؤوس وسلاسل من الذهب ومئة وزنة من النحاس و ٢٥٠ من الحديد وثيران من النحاس وامتعة قصر فاخر لم يرَ مثلها واسرَّة وعروش من الخشب الثمين والعاج ومئتا جارية وثياب صوف وكتان وقطع من البلور الاسود والازرق وحجارة كريمة وانياب افيال

ومركبة بيضاء وتماثيل صغيرة من الذهب ومركبات وخيل . وهذه الهدية الفاخرة ليست بكثيرة على مدينة كانت محط تجارة الشرق والغرب

ولما قام شلمناصر غزا بلاد الحثيين مرارًا ورجع عنها بالغنائم الوافرة الى ان كسر شوكة الحثيين وارجع الاتصال بين الساميين الذين في اشور والساميين الذين في سورية وكان الحثيون قد فرقوا بينهم . وبقي العنصر الحثي متسلطًا في كركميش الى ايام سرجون سنة ٧١٧ قبل المسيح فانهُ اسر ملكها سبرس وهو آخر ملوكها الحثيين وولّى عليها مرزبانًا من مرازبته . وارتدّ الحثيون الى الجبال الشمالية التي جاءوا منها اصلاً وجمعوا جيوشهم وولّوا عليهم ملك ارارط ونازلوا ملك اشور فمزّق شملهم تمزيقًا وانفرد ملك ارارط خوفًا من الاسر واستتبّ الملك لملك اشور بلا منازع (ستأتي البقية)

باطن الارض والحرارة المركزيَّة

من الامور المقرّرة بالمشاهدة ان حرارة الارض تزيد بالغور فيها الى الاعماق التي بلغها الانسان فاذا كانت تزيد على هذه النسبة دائمًا ولا شيء يدل على غير ذلك فالقشرة الجامدة من الارض رقيقة جدًّا وكل جوفها مصهور سائل بل يمكن القول ان الارض جسم سائل محاط بقشرة رقيقة جامدة نسبتها الى الارض كلها كنسبة قشرة البرتقالة اليها . هذا من حيث ما يشاهد من ازدياد الحرارة بالغور في جوف الارض ولكن للعلماء اعتبارات اخرى رياضيَّة وفلكيَّة وهم بالنظر الى هذه الاعتبارات ينقسمون الى طائفتين طائفة تستنتج ان الارض جامدة كلها وجمودها يماثل جمود كرة من الفولاذ (الحديد الزهر) ومن زعمائها السر وليم طمسن الرياضي الشهير وجورج دارون ابن دارون الكبير وهكس وملت وغيرهم . وطائفة تستنتج ان باطن الارض مصهور كما تقدم ومن زعمائها هنسي ودلوني واري وغيرهم . والذي يعلم تدقيق هولاء العلماء ومنزلتهم الرفيعة يحكم ان الارض جامدة وسائلة معًا اي فيها خواص الاجسام الجامدة والسائلة في وقت واحد لكي تكون نتيجتاها صحيحين

ومنذ عشر سنوات اخذ احد العلماء يبحث عن فعل الضغط الشديد بالاجسام فوجد بالامتحان ان اشد الاجسام صلابة يسيل تحت الضغط الشديد ولو لم يساعد